خطوة للأمام خطوة للخلف

"مسرحية"

تأليف

محمد يس

لو ابتسم لي أحدهم وأنا في طريقي حتى نهاية الجسر، فلن أقفز..

أحدهم،،

الشخصيات/

- دكتور جامعي.

- بائـــــع كتب.

إضاءة مُسلطة على ساعة رقمية موجودة بالغرفة تقترب فيها الساعة من
12:00 am
وعندما تشير الساعة ل 12:00 am..
يفتح شخص (الدكتور الجامعي/ البروفيسور) مفتاح إنارة الغرفة ثم يتجه لنتيجة تواريخ العام المثبتة على الحائط ليقطع منها أوراق عدة حتى يصل لورقة مطبوع عليها تاريخ (11/11/2021)..

يجلس على مقعد ملتقطًا أنفاسه، تبدو عليه علامات التوتر، يضع رأسه بين يديه، ثم ينظر للأعلى، يُمسك بصورة موضوعة على المنضدة ليتأملها، ثم يقلبها على وجهها..

يلتقط هاتفه، يبدأ بثًّا مباشرًا، ينظر لكاميرا الموبايل ثم يضبط اتجاه زاوية الكاميرا ناحية شباك بالغرفة، ينهض ليفتح هذا الشباك، يعود لارتداء معطف، ثم يصعد لحافة الشباك في تردد ورعشة مصاحبة، يهبط من الشباك ثم يتجول في الغرفة، يفرك يديه في توتر، يزداد إيقاع التجول والتوتر، ينظر لكاميرا الموبايل، يغلق البث، لكن سرعان ما يفتحه ثانية، يصعد للشباك تلك المرة في ثبات وسرعة، لكنه يهبط مرة أخرى ليشرب كوب ماء مستقر فوق المنضدة، يخلع المعطف، يتجه ناحية الشباك مرة أخيرة في حدة، يصعد إلى حافته، ثم يفرد ذراعيه في الهواء.

أصوات متداخلة قادمة من الشارع وتستمر طيلة الحوار التالي:

أصوات: عُد إلى الداخل.. ماذا تفعل؟.. يا مجنون! عُد.. لا تفعل ذلك.. النجدة.. النجدة.. ألا تسمع؟ عُد.. عُد.. لا تفعلها.. لا تفعلها.

"أصوات صريخ واستغاثات"
"تزداد الأصوات تداخلًا وتعلو بينما هو يأخذ أنفاسه ويستعد لرمي نفسه "
"يفتح شخص (بائع كتب متجول) باب الغرفة فجأة"

بائع الكتب: (لنفسه) يا الله! كم عدد درجات هذا السلم؟ اعتقدت أنه لن ينتهي أبدًا.. **(يسعل بصوت عالٍ ليلفت نظر البروفيسور)..**
(يلتفت البروفيسور لمصدر الصوت)..

البروفيسور: من؟ كيف دخلت إلى هنا؟
بائــع الكتب: بكل بساطة.. بالمناسبة مصابيح السلم معطلة لا تعمل.
البروفيسور: إن كنت سارقًا.. يمكنك الصعود بعد قليل لتأخذ ما تريد.
بائــع الكتب: لا أسمح لك**!** إهانة غير مقبولة، لكني سأسامحك تلك المرة.
البروفيسور: من أنت؟
بائــع الكتب: أنا من يجب أن أطرح هذا السؤال..
البروفيسور: خذ كل ما تريد وامض في حال سبيلك..
بائــع الكتب: سأسامحك على تلك الإهانة للمرة الأخيرة..
البروفيسور: لا يوجد مرات أخرى.. **(وبعد قليل)** من أي شيء.
بائــع الكتب: يبدو أنك متحمس لفعلها.. رائع**!** أنا أيضًا متحمس..
البروفيسور: أنت مجنون؟
بائــع الكتب: الغرفة بها مجنون واحد هو أنت..
البروفيسور: غادر شقتي فورًا يا لص..
بائــع الكتب: لص؟ عجيب.. أنت تقف على حافة الشباك، وأنا أسترخي في هدوء بالداخل، إذن من فينا اللص؟
البروفيسور: هذا بيتي.. أقف وأجلس في أي مكان يحلو لي..
بائــع الكتب: هل تلتقط إشارة الهاتف عندك؟ **(ينظر لهاتف البروفيسور المفتوح على البث المباشر والمثبت على المنضدة)**.
أرى أن الإشارة جيدة بالداخل..**!**
(يقوم البائع بعمل علامات ترحيب ويبتسم ابتسامات مبالغة للهاتف حيث البث المباشر)
بائــع الكتب: هل أغضب منك الآن؟ لِمَ لم تُخبرني أن لدينا ضيوفًا؟ **(صوت إشعارات لتعليقات، يقرأ التعليقات)** انزل يا عديم الفائدة يا تافه.. مُت يا كافر.. متخلف أي والله متخلف..**(يغلق الهاتف)..**
كفى كفى.. لقد أصابوني بصداع هائل.
البروفيسور: لا أريدك هنا..
بائــع الكتب: بل تريد..
البروفيسور: إن جئت واعظًا.. أنجز خطبتك عن حرمانية الانتحار وأن الجحيم مصيري بلا شك.

بائـــع الكتب: لقد نسيت مقطع "نار الدنيا أهون من نار جهنم"..... أووووه كل هذا الطعام من أجلي؟! **(يجلس ليأكل)**.. الخبز رائع، أيوجد لديك القليل من الزيتون الاسباني؟

البروفيسور: ....

بائـــع الكتب: تعال تعال نأكل سويًا.. لا تنتحر ومعدتك فارغة!

البروفيسور:..................

بائـــع الكتب : الطعام غير كاف؟ **(يلتقط هاتف البروفيسور)**.. سامحني سأستخدم هاتفك **(يبحث في الهاتف، يتصل برقم)** مرحبًا.. أريد ربع كيلو من الجبن الرومي القديم ونصف طبق بيض..**(ينظر للبروفيسور ويستفسر منه بتعبير من وجهه إن كان يريد شيئًا)** .. أضف علبة مثلجات.. نعم الحجم الكبير.. لا شكرًا.. شكرًا.. سلام.. انتظر، أتعرف من يبيع أكفانًا بالمنطقة؟... لا لا تقلق لدينا مهمة بسيطة سننجزها اليوم.. أحضر الطلبات سريعًا لا تتأخر مثل كل مرة.. مع السلامة.

البروفيسور: من أين تأتي بكل هذه الوقاحة؟

بائـــع الكتب : من نفس المصدر الذي تجلب منه كل هذا التطفل.. دعني وشأني فأنا لم أحتك بك..

البروفيسور: ....

بائـــع الكتب: أنت تريد أن تقفز.. هيا افعلها لا تُقم اعتبارًا لوجودي.

البروفيسور : أجدر بك أن تخرج من هُنا حتى لا تُتّهم بقتلي.

بائـــع الكتب: من الممكن أن تقنعني ونقفز سويًا..

البروفيسور: سيكون من الأفضل لك..

بائـــع الكتب: **(يذهب ليقف بجانبه)** وبعدما نقفز أين سنذهب؟

البروفيسور: إلى السلام.

بائـــع الكتب : يا سلام!

البروفيسور: لا تسخر مني.. لسنا أصدقاء.

بائـــع الكتب: **(ينظر له متأملًا لثوان)** ولن نكون.. سامحني، فأنت لست ذوقي في الأصدقاء. يا أخي الطعام رائع! **(يذهب ليُكمل تناول الطعام).**

البروفيسور: من أرسلك؟

بائع الكتب: تلك الحالة أعرفها جيدًا.. **(يُسجل في ورقة قد أخرجها من جيب معطفه للتو)** جنون ارتياب.. ما اسمك؟

البروفيسور: ليس مهمًا..!

بائــع الكتب: (يُسجل في الورقة) ليس مهمًا.. الله**!** اسم جميل.

البروفيسور: أنت غريب.. غريب**!**

بائــع الكتب: مع أني أحاول الاقتراب..

البروفيسور: يا رجل من أنت؟

بائــع الكتب: كل أحد، وأي شيء..

البروفيسور: لاصق ذو وجهين**!**

بائــع الكتب: (يُسجل في الورقة) انعدام حس الدعابة..

البروفيسور: ما عملك؟

بائــع الكتب: البشر..

البروفيسور: سرقة البشر؟

بائــع الكتب: مساعدة البشر.. **(بزهو)** أنا أسمع من لا صوت له، أؤنس الوحيد، أشعر بالمحتاج، أنقل الحكمة لفاقدها، أمنح الثقة لمن تعوزه، أمد يد العون للضعيف.. باختصار أساعد، عملي هو المساعدة..

البروفيسور: (باستهزاء) ألم تمت منذ زمن يا غاندي؟

بائــع الكتب: (يقرأ جملة مدونة على ورق النتيجة المقطوع بأرض الغرفة) "إن ألم الحياة يفوق متعتها لدرجة أني لا أرى متعة في الحياة**"**.

البروفيسور: كيفن كارتر، مصور صحفي منتحر.

بائــع الكتب: مسكين.. اختنق.. لا**! (يضحك ضحكة مبتورة)** خنق نفسه في سيارته**!** بسبب صورة رآها عن المجاعة في السودان.. متخيل؟

البروفيسور: كل شيء فقد معناه وقيمته..

بائــع الكتب:(يُقاطعه) هششششش.. اصمت.. **(يبحث عن شيء بمعطفه).**

البروفيسور: (يُكمل) لا معنى..

بائــع الكتب: قلت اصمت.. **(ينجح أخيرًا في استخراج الورقة والقلم من معطفه)** يُمكنك الآن أن تُكمل..**(يستعد لتدوين ما سيسمعه)..**

البروفيسور: خطوة.. خطوة صغيرة للأمام..

بائــع الكتب: وبعد؟

البروفيسور: ينتهي الألم.. يتبخر في الفراغ الفسيح....!

بائــع الكتب: ما فكرتك عن الناحية الأخرى؟

البروفيسور: مكان خال من العذاب، من البشر، ومن الأفكار السامة أيضًا..

بائــع الكتب: يبدو أنك متأكد..

البروفيسور: لا.. لكن لا يهم.. بالطبع لن يكون أسوأ من هنا..

بائــع الكتب: من يترك ورقة الاختبار فارغة دون إجابات ويغادر يظن أنه قد ارتاح..

البروفيسور: ومن حاول أن يجيب طيلة أربعين عام دون جدوى؟!

بائــع الكتب: تعلّم وأدرك.. هل جربت أن تتحدث مع أحد، أي أحد؟

البروفيسور: لن يشعر أحد..

بائــع الكتب: **(يقترب منه)** من حقك أن تتحدث وتجد من يسمعك..

البروفيسور: لم يُتح أحد ليسمعني طيلة عمري..

بائـع الكتب: ها قد أُتيح لك الآن..

البروفيسور: **(يضحك بمرارة)** وهل أنت الملاك المُرسل من السماء؟

بائــع الكتب: ذات مرة كان هناك صياد يُبحر في عرض البحر، وإذ برياح عاصفة تهب، ترنّح به المركب وأخذ يغرق في نفس الوقت الذي اقترب منه صديقنا مادًّا له يد العون، لم يستجب له الصياد قائلًا: اتركني وشأني سُينقذني الله، تركه صديقنا ومضى.. بعد برهة كان الصياد يغرق بلا شك وهو يقول: لماذا لم تُنقذني يا الله؟

البروفيسور: للمرة الأخيرة أسألك.. من أنت؟

البروفيسور: إنسان مقتنع أن كل إنسان من حقه أن يُسمع ولو لمرة واحدة، مرة واحدة على الأقل.. ما رأيك أن نلعب لعبة، أنت تتكلم وأنا أسمع دون إصدار أحكام؟

(صــمت، ينزل البروفيسور من على حافة الشباك في تردد ويجلس على مقعد في الغرفة).

بائــع الكتب: خذ **(يعطيه لفافة طعام قد أعدها له)** متزوج؟

البروفيسور : كنت..

بائــع الكتب: ما عملك؟

البروفيسور: دكتور جامعي..
بائــع الكتب: جميل.. رائع.. عمل بلا أي فائدة!
البروفيسور: نعم أنا في نظر الكثير كذلك، وأنت؟ بالإضافة لكونك ملاك...
بائــع الكتب: صاحب شركة.
البروفيسور: شركة؟
بائع الكتب: لقد انتهيت من الدراسة في كلية التجارة وإدارة الأعمال، وقررت فورًا أن أقتحم عالم المال والأعمال.
البروفيسور: مال وأعمال؟
بائــع الكتب: واخترت مقرًّا لشركتي في سور عتيق.
البروفيسور: سور عتيق؟ يبدو أنه سور الصين العظيم!
بائــع الكتب: لا سور الكتب المقرصنة.. أنا بلا فخر بائع كتب مزوّرة.
البروفيسور: ....
بائــع الكتب: يا رجل ما بك؟ ابتسم على الأقل!.. هيا هيا لا تنكر أنها أعجبتك..
البروفيسور: سعيد؟
بائــع الكتب: لقد أعدّت هدى اليوم طاجن لحم بالبطاطس خطير المذاق!
البروفيسور: من هدى؟
بائــع الكتب: زوجتي.
البروفيسور: كم أحسدك!
بائــع الكتب: سينكر أنه يتردد كل يوم على أفخر المطاعم!
البروفيسور: أحسدك لأن هناك شيئًا يسعدك..
بائــع الكتب: متى أفرغت آخر مرة؟
البروفيسور: أفرغت ماذا؟
بائــع الكتب: عقلك؟
البروفيسور:عقلي لا يتوقف عن التفكير لحظة..
بائــع الكتب: سأحكي لك..
البروفيسور: **(مقاطعًا)** لا أريد سماع شيء..
بائــع الكتب: لكنها قصة مثيرة حقًّا.. لا ينبغي أن تفوتك!
البروفيسور: ومع ذلك لا أريد معرفتها..
بائــع الكتب: لا داعي لكل هذا الحماس كنت سأحكي على أية حال. اسمع يا صديقي الدكتور الجامعي.. في أحد الأيام استيقظت على أصوات صراخ قادمة

من شقة الجيران، اتجهت إليهم هرعًا، كسرت باب الشقة واقتحمت المكان مثلما اقتحمتك اليوم، وإذ بي أجد، وإذ بي أجد....**(يصمت).**

البروفيسور: ماذا وجدت؟

بائـــع الكتب: لقد نجحت في جذب انتباهك إذن..

البروفيسور: أنجز ماذا وجدت؟

بائـــع الكتب: ما وجدته كان شيئًا فظيعًا حقًّا.. الابن يُشهر سكينًا نحو أمه عازمًا ذبحها.. نهرته قائلًا هل أصابك الجنون يا ولد؟ تريد قتل أمك صاحبة كل فضل عليك.. قال: اصمت.. إنها مريعة....**(يصمت).**

البروفيسور: نعم وبعد؟

بائـــع الكتب: ولا أي شيء.. خرجت لأستقل المترو وذهبت لعملي.

البروفيسور: والولد وأمه؟

بائـــع الكتب: هم أحرار.. خصوصيات! لا علاقة لي بها..

البروفيسور: أعطني تلك الورقة.. أعطني.. **(يسجل بالورقة)** متأخر عقليًّا..

بائـــع الكتب: (يلمح قطعة شطرنج موضوعة على منضدة في زاوية بالغرفة).. ما رأيك بجولة شطرنج؟

البروفيسور: ....

بائـــع الكتب: تلعب بالأبيض أم الأسود؟

البروفيسور: اقتنيته لابني، لم ألعب معه ولا حتى علمته كيف يحرك القطع مثلما وعدته.

بائـــع الكتب: أناني.

البروفيسور: ماذا قلت؟

بائـــع الكتب: سمعتني.. أنت أناني.

البروفيسور: الحق معك..

بائـــع الكتب: أترى صف الجنود المتراص هذا؟ سيُجن كي يطير مثل الحصان، أو يقطع مسافة هائلة في خطوة واحدة كالطابية، يستمر الجندي في مراقبتهم ولا يُركز أبدًا على خطوته، فيتم اصطياده، مسكين، لو اهتم بخطوته، ونظر للأمام كان من الممكن أن يترقى ويصبح وزيرًا.

البروفيسور: لم أهتم يومًا سوى بخطوتي..

بائـــع الكتب: كذّاب.

البروفيسور: نعم؟

بائـــع الكتب: أنت كذّاب..

البروفيسور: قلت إنك لن تُصدر أحكامًا..

بائـــع الكتب: آسف، لكن، لو كنت تهتم حقًا بخطوتك كنت منحت ابنك بعض الوقت، وعلمته الشطرنج، كنت اهتممت بعائلتك.
البروفيسور: كنت أعمل طوال الوقت من أجل عائلتي.
بائـــع الكتب: لا تقل من أجل عائلتك، كنت تعمل طوال الوقت من أجلك أنت، من أجل أن يقول الناس: الدكتور فلان الفلاني ناجح ..نابغ ، من أجل الحظوة والمكانة اجتماعية..
البروفيسور: (صـــــــمت).. من الممكن.. **(يتجه نحو باب الشقة ويفتحه).**
من فضلك اتركني قليلًا بمفردي.. تفضل.. لا تقلق لن أؤذي نفسي.
بائـــع الكتب: أو تؤذيها...! هل تظن أني سأحزن عليك؟!!
(يرن هاتف بائع الكتب مصدرًا مقطعًا من أغنية يا "طبطب وأدلع").
بائـــع الكتب: (يمسك بالهاتف وينظر للشاشة دون أن يُجيب).
البروفيسور: أجب..
بائـــع الكتب: لم يأت المقطع الذي أحبه في الأغنية بعد.. **(يسمع مقطع "قولوله ده أنا بردو ساعات بحالات"، فيجيب).**
بائـــع الكتب:
مرحبًا يا هدى..
أجلس مع صديق..
نتحدث عن جدوى الحياة إذا ما تعارضت مع ... هدهد لاداعي للتفاصيل.
اصمتي.. اصمتي يا بنت.. إنه دكتور جامعي.
ماذا تقولين؟ حقا؟ أيصح هذا!
حقًّا تضايقت!
هههههه.. هههههه
كفى.. كفى!
كفى تصالحت كفى يا بنت.. ههههه.
(بصوت هامس) الأولاد ناموا؟... حسنًا حسنًا.. لن أتأخر.
مع السلامة.. هدى !
حافظي على نفسك حتى أعود.. سلام.. **(تنتهي المكالمة).**
(صـــــــمت ونظرات متبادلة بين البائع والدكتور)
بائـــع الكتب: أنت تريد أن تخبرني أني أضفت نورًا لهذا المكان.. هيا قلها هيا.
(الغرفة تظلم تمامًا في إشارة لانقطاع التيار الكهربي).
البروفيسور: صدقت!!
بائـــع الكتب: ما هذا الإحراج؟ أين تضع الكشاف الكهربي؟

البروفيسور: لا عليك، سأُحضره..**(يُحضر كشافًا ويضيئه ثم يثبته على المنضدة)** أتعرف.. أنا أخاف من الظلام، من الممكن أن يكون هذا سببًا للبقاء..
بائـــع الكتب: أسباب البقاء قد تكون أبسط مما نتخيل..
البروفيسور: ما أسبابك؟
بائـــع الكتب: لدي نبتة صغيرة أرعاها كل يوم على أمل أن تصير بستانًا..
البروفيسور: **(بسخرية)** الحمد لله.. أخيرًا أجاب أحدهم إجابة غير معتادة.. "أعيش من أجل الزوجة و الأولاد"..
بائـــع الكتب: تلك النبتة هي الزوجة والأولاد...**!**
البروفيسور: أسباب واهية نخدع بها أنفسنا لكي لا نرى الحقيقة..
بائـــع الكتب: وما هي الحقيقة؟
البروفيسور: الحقيقة هي الحزن والمعاناة، هي الصراخ المكتوم من الألم، الحقيقة هي النهاية التعيسة..
بائـــع الكتب: متى تحدثت معه آخر مرة؟
البروفيسور: من؟
بائـــع الكتب: **(يشير بإصبعه لأعلى)..**
البروفيسور: لا أعتقد أن لديه متسعًا من الوقت لكي يستقبل مني الرسائل..
بائـــع الكتب: لا أحد يستقبل الرسائل في أي وقت غيره..
البروفيسور: هل يرد على رسائلك؟
بائـــع الكتب: يرد..
البروفيسور: لماذا أنت بالتحديد؟
بائـــع الكتب: أفتح له قلبي.. فقط.
البروفيسور: إذن قل له أن يأخذني..
بائـــع الكتب: **(مازحًا)** لن أفعل مع أني أتمنى..
البروفيسور: لقد فقدت علاقتي بالسماء منذ وقتٍ طويل.
(يعود التيار الكهربي).
بائـــع الكتب: أخيرًا انتهى عصر الظلام..
البروفيسور: أريد أن أصبح أي شيء.. أي شيء غير نفسي، عقلي لا يُفكر إلا في النهاية والموت.
بائـــع الكتب: **(يُسجل في الورقة مخاطبًا نفسه)** افعل شيئًا.. الحالة تنهار منك**!**
البروفيسور: أريد أن أكون مجرد خشبة في هذه المنضدة، خشبة منسية، ساكنة، ثابتة ليس لها أي علاقة بالعالم المريع..
بائـــع الكتب: وأنا أريد أن أصبح مطرقة كي أدمر جمجمتك...**!**
البروفيسور: تأدب.. لا أسمح لك..

بائــع الكتب: شيء عجيب **!** أهناك خشبة تشعر؟
البروفيسور: **(يشير عبر الشباك)** أترى ذلك البيت المظلم؟ كان النور والسعادة يعتمران أرجاءه، أب وأم وأولادهم يعيشون في دفء وحب، والجميع يحسدهم فجأة تعبت الأم وماتت، سيطر الحزن على الأب تمامًا فانفرط عقد الأولاد، كل ذلك حدث في وقت قليل، كل ذلك حدث دون مقدمات، البيت الذي كان يشع طاقة أمل ونور لكل الجيران، أصبح حطامًا يتلاشون حتى النظر إليه.
بائــع الكتب: مصير الأب والأولاد أن يفهموا ويعودوا أقوى بعد فهم الاختبار..
البروفيسور: سنة الحياة القبح، احك لي أي قصة واقعية انتهت نهاية سعيدة؟ عن حبٍّ استمر بنفس الشغف؟ كل النهايات تعيسة ومقبضة.
بائــع الكتب: نهايات طبيعية، نقبلها ونتصالح معها.. لا نُعجّل بها، **(يقرأ من ورق النتيجة المنثور على الأرض كل الجمل التالية)**
"أشعر كما لو أني لست حقيقية تمامًا"..
البروفيسور: مارلين مونرو.. انتحرت.
بائــع الكتب: "الحياة لا تُحتمل".
البروفيسور: داليدا.. انتحرت**!**
بائــع الكتب: "سأسقط للأبد في جوف الظلام"..
البروفيسور: تيسير السبول..
بائــع الكتب: **(مقاطعًا)** انتحر.. رحمه الله.. رحمه الله.
"هُناك احتمال أن يتوج مسعانا بغير الهزيمة ، ما دمنا قررنا أن لن نموت قبل أن نحيا" ..
البروفيسور: رضوى عاشور، لم تنتحر لكنها ماتت مهزومة شر هزيمة بعد أن نهش المرض عظام رأسها..
بائــع الكتب: قاومت المرض 35 سنة.. ماتت محاربة، وليست منبطحة..
البروفيسور: في النهاية خسرت...**!**
بائــع الكتب: قرأت مؤخرًا في إحدى الجرائد أن كل 40 ثانية ينتحر شخص ما حوالي مليون شخص في السنة.. نصفهم على الأقل لم يتلق المساعدة اللازمة.. لست وحدك في الظلام.
البروفيسور: كلام.. مجرد كلام**.**
بائــع الكتب: اشرب **(يعطيه كوب ماء ليشرب)** أستطيع أن أجزم أن هناك أشياء ما زلت تستمتع عندما تفعلها.. هذا الشطرنج مثلًا، تعصف بذهنك حتى تقضي على خصمك في أقل وقت.. **(يشير للمكتبة)** تلك الكتب تقرؤها وتسافر في حكاياتها وعوالمها.. أنت تُفضل الصيف أو الشتاء، ولديك طقوس معينة تفعلها

في كل فصل.. طقوس بسيطة تُسعدك.. أعتقد أن لديك مشروبًا مفضلًا وفريق كرة قدم مفضل، ما زال لعابك يسيل عندما ترى فتاة جميلة، أليس كذلك؟ مؤكد أن لديك الكثير من المغامرات.

البروفيسور: (شاردًا) البكاء ممنوع.. الرجال لا يبكون.. شعرك سيء لمن؟ لكي نُحبك يجب أن تنجح.. لو لم تفعل ما نريد ونرضى عنه فلتنس أن تأخذ المصروف.. نحن نعرف مصلحتك.. انظر لأقربائك.. انظر لأصدقائك.. لماذا لم تتزوج؟ لم تنجب بعد؟ الترقية في العمل تأخرت.. لا بد من سيارة جديدة.. لا بد من بيت أوسع.. يجب أن تسافر كل صيف إلى مكان فاخر.. يجب أن تسمح للنظام أن يسحب كل طاقتك وروحك.

بائـــع الكتب: ....

البروفيسور: الآن تصمت؟!

بائـــع الكتب: أسمعك..

البروفيسور: انتهيت..

(ينهض البائع ويبدأ في ترتيب الغرفة وتنظيفها)

البروفيسور: أين تذهب؟

بائـــع الكتب: هذه الغرفة تحتاج إلى ترتيب.. هل حكيت لأحد ما عن ألمك؟

البروفيسور: الرجال لا يبكون.. الرجال لا يشتكون.

بائـــع الكتب: ليس من المفترض أن نخجل من ذلك.. أنت من يجب أن تجعلنا نعي تلك الأمور يا دكتور.

البروفيسور: ليست المشكلة كوني مُدرك وواع بذلك أم لا.. المشكلة كيف سيستقبلك من حولك.. كيف سينظر إليك المجتمع.. كيف سيعاملونك..

بائـــع الكتب: هناك متخصصون كنت تستطيع أن تطلب منهم المساعدة..

البروفيسور: لو تقصد أطباء نفسيين فسوف أبدأ أشك في ذكائك..

بائـــع الكتب: واحد زائد واحد يساوي اثنين، عندما يثور الموج أظل على الشاطئ، عندما تنخفض درجات الحرارة أرتدي الملابس الثقيلة، عندما أتعب أطلب المساعدة **(ينتهي من الترتيب)** ما رأيك الآن بالغرفة؟ إن أول خطوة لإصلاح الشأن هي ترتيب الداخل .. تلك مقولتي أنا.

(يذهب البائع ناحية السماعات ويربطها بالهاتف.. تصدر عن السماعات أغنية (Sex Machine- James Brown))

يرقص عليها البائع ويشجع البروفيسور للرقص معه، فلا يستجيب في البداية، ولكن مع الوقت يبدأ في الاستجابة فيرقص ببطيء، ومع ارتفاع إيقاع الأغنية يزداد إيقاع رقصه وينسجم تمامًا)

البروفيسور: (يلهث بشدة ويضحك بعد انتهاء الأغنية ويصرخ) آآآآآآآآآآآآآه.

بائــع الكتب: آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه..

البروفيسور: آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه..

بائــع الكتب: **(يسجل له رقم هاتفه على ورقة)** هذا رقم هاتفي، هاتفني غدًا كي نذهب للطبيب سويًّا.. وداعًا.. **(يهم بالمغادرة).**

البروفيسور: ابق..

بائــع الكتب: **(يعود سريعًا.. يلتقط هاتف البروفيسور).**

مرحبًا.. ألغ الطلب.. لا.. لا تُرسل شيئًا.. **(يُغلق الهاتف)** هيا فلتطلب لي نصف دجاجة.

البروفيسور: هل أنت سعيد دومًا؟

بائــع الكتب: لا.. أيام الأحد والأربعاء فقط**!**

البروفيسور: **(شاردًا)** لا أتذكر متى آخر يوم عشته بشكل طبيعي**!**

بائــع الكتب: هيا تذكر هيا..

البروفيسور: أعتقد وأنا طفل صغير حينما كنت أدرس بالصف...

بائــع الكتب: **(يُقاطعه)** لا تُكمل لا تُكمل.. **(يحتضنه ساخرًا)** كم أنت مُعذب يا رجل**!**

البروفيسور: لا أتذكر متى اقتحم الشبح الأسود المخيف عقلي، الوحش الذي لا يتوقف عن الركض وبث عدد مهول من الأفكار السلبية داخل رأسي.. راسمًا صورة واحدة فقط. صورة واضحة.. صورة التلاشي .. الفناء.. كل شيء ينتهي.. كل شيء يفقد معناه ويتبخر.. الأماكن.. المشاعر.. الذكريات تتحول لأشياء باهتة.. أنت نفسك يُولد بداخلك مئات الأشخاص وكل شخص منهم يموت كأنه لم يحي يومًا.. مئة حلم تدفنهم بيدك لتتحول في النهاية إلى نسخة غريبة تائهة ضائعة.

بائــع الكتب: علقت آمالًا عريضة على الدنيا...

البروفيسور: **(صـــمت لثانيتين)** أنا أقاوم منذ عشر سنوات وأكثر.. كل يوم أقاوم.. كل يوم يخيب مسعاي في الوصول إلى مساحة آمنة فأنهض ولا أستسلم.. لكن صدقني نحن ندور في السراب ونعود لنفس النقطة في النهاية.. نقطة التلاشي.

بائــع الكتب: **"**أريد أن أسافر في النجوم وهذا البائس جسدي يعيقني**"**

البروفيسور: **(مندهشًا)** هل تعرف ڤان جوخ؟

بائــع الكتب: ماذا؟ هيئتي لا توحي بذلك؟

البروفيسور: لا.. بالطبع اكتسبت تلك المعلومات من قراءة الكتب التي لا تبيعها.

بائــع الكتب: لأول مرة تقول الليلة شيئًا صحيحًا..

البروفيسور: ڤان جوخ، هيمنجواي، ڤيرجينيا وولف، خليل حاوي، داليدا وغيرهم ممن أنهوا آلامهم بأيديهم.. سيطر عليهم الوحش الأسود تمامًا مثلما سيطر علي.. أي محاولة للمقاومة هي تضييع للوقت.. النتيجة معروفة.. الوحش الأسود سينتصر.

بائــع الكتب: هناك في الناحية الأخرى يقبع كل من لينكولن، تشرشل، ستيڤن كينج وغيرهم من ملايين البشر الذين نجحوا في معركتهم ضد الوحش الأسود وعبروا الامتحان بسلام.

البروفيسور: أنا أحتاج.... لم أعد أعرف ماذا أحتاج..

بائــع الكتب: أنت تحتاج أن تغرق في الأحداث اليومية.. تحتاج أن تخرج للشارع وتستمع لأصوات الناس المزعجة وتسمح لها أن تتسرب خلالك حتى تطغى على صوت الوحش الجامح.. تحتاج للمشي.. للركض.. للشجار.. تحتاج أن تبكي لخسارة فريقك.. أن تتعصب لكل الأشياء التافهة.. أن تفعل أشياء غاية في البساطة من أجلك مثل: النوم جيدًا.. التأمل.. الاستماع للموسيقى.. تحتاج أن تدرك أنك طبيعي ومثلك ملايين البشر يحاربون ظلمتهم.. تحتاج أن تعيش.. الوحش يحب الغرف المظلمة ويكره الحياة.

البروفيسور: (بعصبية) ليس لدي حياة.. لقد دمرت كل شيء وكل شخص اقترب مني.. لا أريد سوى الانفصال عن جسدي وتحرير روحي.. ماذا حدث عندما خرجت للشارع واستمعت لأصوات العالم.. أتعرف ماذا حدث؟ وصلت لنفس النتيجة.. ضاع كل شيء**!**

بائــع الكتب: ما ضاع يُعوّض.. الحياة ليست هزيمة فقط..

البروفيسور: الحياة التي تُحدثني عنها أحالتني إلى حصان سباق لا يعنيه إلا تجاوز من يجاوره أو أخذ مكانه لا يهم.. سمحت للحياة أن تتغول إلي لأقصى حد.. فعلت كل ما أريد وحصلت على كل ما تمنيت.. حصلت عليه عنوة.. أحرقت كل ذرة من كياني كي أنجح وأتفوق على أقراني وأرضي أهلي، تزوجت الفتاة التي أردت وحصلت على العمل الذي طمحت إليه وجنيت الكثير.. الكثير من المال.. حياة حياة حياة.. والنتيجة كل شيء يموت ويفقد معناه..

بائــع الكتب: لكن الوحش كان أصغر منك وكنت قادرًا على التحكم به..

البروفيسور: هل توقفت لحظة وسألت نفسك.. لماذا أفعل كل ذلك؟ علام الركض؟ لم الصراعات؟ لقد نجحت الحياة في تحويلي لآلة عملاقة خالية من أية مشاعر..

بائــع الكتب: لقد قال الله ...

البروفيسور: (مقاطعًا) الله؟ أين هو؟ أين هو من كل تلك المعاناة؟

بائــع الكتب: (مقاطعًا) كفى.. لست وحدك من تتألم.. تعلّم من أخطائك ولا تختار المعاناة.

(ينقطع التيار الكهربي مرة أخرى، يُظلم المسرح، صـــــــــمت لثوان).

بائــع الكتب: دكتور؟.. يا دكتور؟... أين ذهبت؟

(يضيء البائع مصباح هاتفه، ويبدأ في البحث عن البروفيسور في الغرفة.. ليجده واقفًا على حافة الشباك كما كان)

بائــع الكتب: مصمم؟

البروفيسور: صدقني.. لا أسباب للتراجع!

بائــع الكتب: الأسباب كثيرة.. أنت لا تريد رؤيتها.

البروفيسور: الحقيقة واضحة.

بائــع الكتب: ابنك جميل..

البروفيسور: كيف عرفت؟

بائــع الكتب: تلك الصورة **(يشير لصورة الابن الموضوعة على المنضدة).**

البروفيسور: ماذا تريد أن تعرف؟

بائــع الكتب: أريد أن أزوره..

البروفيسور: هل ستمنحه لحظات دافئة؟

بائــع الكتب: على الأقل سألعب معه الشطرنج..

البروفيسور: اسمه أدهم.. يعيش مع أمه بعد انفصالنا.. كله براءة.. يُذكرني بنفسي عندما كنت صغيرًا، لا أحب براءته لأنها لا تتماشى مع توحش العالم، نظراته تذبحني ولذلك أتعمد ألا أراه في الآونة الأخيرة.. أتمنى أن يعوضه الله بأب أفضل.. **(يتجه البائع سريعًا نحو هاتف البروفيسور ويبحث عن رقم هاتف الابن"أدهم").**

أحبه كثيرًا، يطلب مني أن يفعل أشياءً بسيطة مثل لعب الكرة أو تعلم الشطرنج.. لا أستطيع تلبية أبسط احتياجاته.. ذات مرة قال لي: أبي أحبك كثيرًا.. لكن أنت دائمًا بعيد وتجلس بمفردك.. أعتقد أنه نساني وهذا أفضل.

بائــع الكتب: (يستمر في البحث عن رقم هاتف أدهم) هذا سبب حقيقي لتستمر.

البروفيسور: لم أعد أعني أي شيء لأي أحد.. ربما لو مت أفضل لي وله وللجميع.

بائــع الكتب: (ينتهي من البحث في الهاتف ويضعه على أذنه) لا لست أباك يأدهم.. أنا صديقه، نعم بالطبع أبوك لديه الكثير من الأصدقاء.. ها هو معك يا حبيبي **(يعطي الهاتف للبروفيسور).**

البروفيسور: (بعد فتترة صمت وذهول) مرحبًا..

صوت الابن: آسف يا أبي لم أتحدث إليك منذ فترة..

البروفيسور: لا عليك.. كيف حالك؟
صوت الابن: الحمد لله.. لكن أنت تعرف الصف الرابع وكثرة الاختبارات.
البروفيسور: لكن أنت بطل وستقهر تلك الاختبارات.. أليس كذلك؟
صوت الابن: نعم بالطبع..
البروفيسور: بالتأكيد أمك تساعدك في فهم الدروس.
صوت الابن: نعم.. لكنها تجلس كثيرًا في غرفتها وتبكي.. وعندما أسألها لم تبكي؟ تقول أنها لا تبكي..
البروفيسور: صدّقها يا أدهم.
صوت الابن: إنها تكذب (**يضحك**).
البروفيسور: لا يصح يا أدهم لا تقل ذلك عن أمك.
صوت الابن: آسف، أين أنت الآن؟
البروفيسور: في العمل..
صوت الابن: ارفق بنفسك قليلًا يا أبي.. **(يكتم البائع ضحكته).**
البروفيسور: اشتقت إليك يا أدهم..
صوت الابن: وأنا اشتقت إليك أكثر.. أتمنى أن أراك قريبًا.
البروفيسور: **(يُغالب دموعه)** وداعًا يا أدهم..
صوت الابن: وداعًا يا أبي.. أبي أنا أحبك.. وداعًا.
(يبكي البروفيسور بشدة، ثم يعود بالهاتف مرة أخرى ويعاود الاتصال)
البروفيسور: أدهم..
صوت الابن: نعم يا أبي؟
البروفيسور:أخبر والدتك أني سأمر عليك غدًا..
صوت الابن: هيييييييييه..
البروفيسور: سأجلب الشطرنج كي نلعب سويًّا..
صوت الابن: أنت أفضل أب في العالم.
البروفيسور: هيا اذهب لتدرس..
(ينزل من على حافة الشباك، ويذهب ناحية البائع)..
بائــع الكتب: سأمر عليك غدًا **(يرتدي معطفه ويهم بالمغادرة).**
البروفيسور: ما اسمك؟
بائــع الكتب: ليس مهمًّا.. **(يغادر الغرفة).**
(يرتدي بائع الكتب معطفه.. ثم ينطلق للخارج)..

سلام لكل من يحارب ظلمته،،